

الهوية الأيزيدية التاريخ والتهميش

م.م حسون جهور عبدو (*)

الملخص

عن الآخرين بقدر ما يقدم أو يبدع، بل التفكير بعقلية الأغلبية المسيطرة، يخلق أجواءً محتدمة من الخلاف والصراع داخل الوطن. وكما يستنتج البحث إلى أن المواطنة الحقّة وشروط سيادة الهوية الوطنية على غيرها من الهويات الفردية تابعة من السياسة الحكيمة للدولة، بل وعدم التخبط بين السياسة والمصالح من جهة، والالتزام بنظام ديمقراطي حقيقي لكل من له الحق في ممارسة شعائره وشعائره الدينية دون تمييز من جهة أخرى. ويكتسب هذا المجال من الصراع أهمية خاصة في الديمقراطيات الحديثة، إذ تعيش صراعاً مستمراً للموازنة بين الحقوق الفردية وحفظ الأمن والنظام. ويُقترح عدم تهميش أي هوية داخل النسيج الوطني العراقي، وبناءً عليه، يمكن القول إن العراق

يدور هذا البحث حول هوية الأيزيديين المتجذرة في التاريخ لتعزيز هويتهم الوطنية، إن مهمة دراسة التاريخ عمومًا هي تحسين أحوال الأمم والتمسك بالهوية الوطنية في إطار من الشعور بالفخر وتعزيز الثقة بالانتماء الوطني بشكل كبير. إن فهم التاريخ من خلال استحضار الماضي ليس كسررد فحسب، بل كسؤال يبحث عن مفاتيح تحسين الحاضر والإعداد للمستقبل، عندها يمكن إيجاد حلول ناجعة للاختلافات الكثيرة والرغبة الفاعلة في إيجاد وتوفير ولاء راسخ للمواطنة الحقّة.

إن الصراع والصدام بين الهويات على حساب المواطنة، وضعف الدولة وتفعيلها من جهة، وتهميش الأقليات من جهة أخرى، دون مراعاة خصوصية الفرد وظروفه، وما يميزه

hesongahoar@gmail.com

(*) جامعة اوسنبروك الألمانية/ معهد بحوث الهجرة والثقافات

بعد ٢٠٠٣ بتقديم وتعريف الهوية الحقيقية للإيزيديين؟) لتقديم أنفسهم حسب رغباتهم وتصحيح ما لفق عنهم من تشويه وتزوير دورهم التاريخي في بناء الوطن، وهل استطاعت تلك الحكومات المتعاقبة بناء الثقة لدى المواطن الإيزيدي بضمن هويته وتعايشه في وطنه بلاد مابين النهرين مهد الحضارات الانسانية الذي شارك اسلافه ايضا ببناء تلك الحضارات، في حين لايزال الأكثرية منهم حتى وقتنا الحاضر يعيش مشرداً في خيام غير مؤهلة للسكن داخل وطنهم، بل الاكثرية من ابنائهم يخاطرون بحياتهم هرباً الى دول المنفى لضمان مستقبل اطفالهم و صيانة كرامة عوائلهم، خوفاً من تكرار ماساة و ابادة جديدة اخرى مثل ما حل بهم من قتل وسبي و اغتصاب الاف النساء و الفتيات من قبل عصابات داعش الاجرامية في ٣ آب ٢٠١٤ .

أعتمد منهج البحث على مصادر تاريخية موثوقة من الباحثين والمؤرخين الإيزيديين المعروفين وآخرون. وقد بينت تلك المصادر على الهوية الحقيقية للإيزيديين وتعايشهم في الرقعة الجغرافية التي عاشوا فيها خلال الحقب التاريخية المختلفة، فضلاً عن ذكر الغزوات والإبادات التي مورست بحقهم، ومن ابرز تلك المصادر:

يُعد بلدًا للهويات المختلفة، ويمكن القول بأنه كانت للحكومات المتعاقبة منذ تاسيس الدولة دوراً في تهميش الآخرين و احيانا محو هويتهم، والخط من قدر ثقافتهم ولغتهم وفنهم وإنتاجهم جراء استخدام القوة المفرطة هذا ما فعله النظام السابق. لم يكن لهذا معنىً في الاحتواء الوطني تجاه الهويات المهيمنة التي تُقلل من شأن الآخرين وتُهين ثقافتهم. لذلك في واقعا الحالي، يجب تطبيق مبدأ المساواة والمواطنة الحقة دون تمييز على أساس العرق أو الجنس أو غيرهما، حينها نستطيع القول بان للعراق هوية واحدة وهي هوية الوطن و للجميع.

الكلمات المفتاحية: الإيزيدية، الهوية الإيزيدية، الهوية الوطنية، الهوية الهجينة، ازمة الهوية.

المقدمة

لاشك أن للمكون الإيزيدي دوراً بارزاً في تعزيز الهوية الوطنية العراقية في المراحل التاريخية الماضية، وهناك شواهد على ذلك تؤكد مدى تمسكهم بتراث حضارة بلاد وادي الرافدين الذي يعدّ ارتثاً حضارياً كبيراً يدخل في صميم الهوية الوطنية العراقية من جهة، والتضحيات المستمرة من قبل هذا المكون في سبيل وطنهم و التمسك بجذورهم التاريخية، على الرغم من الإبادات المتكررة بحقهم. وهنا يتم البحث عن السؤال الرئيس وهو (إلى أي مدى استطاعت الحكومات العراقية لاسيما

تحديداً انحدارهم أو تسميتهم المنسوبة حسب بعض الكتاب إلى الخليفة الأموي يزيد بن معاوية وغير ذلك من التفقيقات الباطلة النابعة من المصالح السياسية والعقائدية الضيقة^(٤). و كتاب محطات من واقع الإيزيديين للأكاديمي علي سيدو رشو الذي يتحدث بشكل خاص عن معاناة وتردي أحوال الإنسان الإيزيدي وتهميشه في العراق، نحو تحديد الهوية الإيزيدية وفقدان ثقة الإنسان الإيزيدي بحكومات بلاده بشكل عام، لاسيما بعد الإبادة الأخيرة في ٣ آب ٢٠١٤ من قبل داعش الارهابية.

ثمة مجموعة كتابات و لقاءات مع الباحثين المعروفين في الشأن الإيزيدي، منهم الباحث هوشنك بروكا والكاتب مراد سليمان علو، حيث يشيرون في كتاباتهم عن طبيعة وهوية المجتمع الإيزيدي وما لحق بهم من الإهمال والغبن في بلادهم العراق، وطرحهم أهم معانات هذا المكون بسبب أو آخر، لاسيما بعد سقوط النظام الديكتاتوري السابق. مثلما يستند البحث على بعض المؤلفات المدونة باللغة الألمانية منها كتاب الهان قزلهان (من هو الإيزيدي، طبيعته، كتابته تاريخهم وأهم طقوسهم القديمة)^(٥).

وكذلك بحث أيرينا دولز وبحثها عن الإيزيدية بعد زيارتها إلى كردستان العراق عام ٢٠٠٤، وأجرت بحثاً مكثفاً حول وضع السكان الإيزيديين في العراق، وكانت لها منشورات سابقة حول هذا الموضوع في عام (٢٠٠١)

كتاب المؤرخ خليل جندي، الإيزيدي (المعتقدات، الميثولوجيا والطبقات الدينية)^(١)، الذي تتأول الجذور التاريخية للمعتقد الإيزيدي وميثولوجيا الشعوب القديمة والذي ينحدر منه الإيزيديين، والذي تضمن طبيعة تكوين وفهم المجتمع الإيزيدي بواقعية علمية، والحقب الزمنية الذي مرّ بها من تغيرات ومن مضايقات لبيانه بشكل سهل وواضح.

أما الكتاب الثاني للباحث نفسه الذي كان بعنوان، (البحث عن الدين الإيزيدي التاريخي)^(٢)، الذي تطرق في السى الهوية التاريخية للمجتمع الإيزيدي وأهم طقوسه للظواهر الطبيعية أسوة ببقية الشعوب القديمة منذ العصر السومري وما بعده، حيث لا تزال تلك الطقوس تمارس في المناسبات الدينية لحد الآن. كما يتأول عن الجذور الفكرية والعقائدية وعن تركيبة المجتمع الإيزيدي ونظامه الطبقي، الذي يرجع أصوله كورثة المعتقدات الهندو إيرانية القديمة.

كتاب الباحث ممو عثمان، (دراسات ومباحث في فلسفة وماهية الديانة الإيزيدية)^(٣)، عبارة عن مقارنة بين فلسفة المعتقد الإيزيدي وهويته مع هوية الشعوب والديانات المجاورة الأخرى، ويتضمن أيضاً عن معاناة الشعب الإيزيدي ومدى تهميشه في وطنه بشكل عام، وكذلك عن أحواله في المهجر مع ذكر الأسباب والحلول الموضوعية، كما يقدم الكتاب الجذور التاريخية الحقيقية للإيزيديين وبمصادر رصينة موثوقة، منافياً للتشوهات والاثهومات التي لفتت بهم،

بتناقضه مع الآخر و وحدته مع نفسه. كما يمكن القول و بحسب عالم الاجتماع التربوي علي وطفة، أنه من الصعب تحقيق مفهوم الهوية من خلال تعريف خاص ومنفصل، فكل تعريف هو في حد ذاته هوية^(٨). يمكن وصف الهوية بوصفها مفهوم دعم أيديولوجي أكثر من كونها مفهومًا علميًا، لاسيما أنه يمكن التعبير عن الهوية من خلال الخصائص المشتركة بين المجموعة نفسها، مثل الدين أو الجنسية أو اللغة أو العرق. تحديد الهوية موضوع معقد للغاية، لقد أصبح عالم اليوم أكثر توافقاً وتماسكاً، حيث تتنافس التكنولوجيا مع قدرات الإنسان وكفاءته لاسيما هوية الانسان المهاجر أو المبتعد من وطنه، حيث يسعى صاحبها التكيف مع بيئة مختلفة ومتغيرة من البيئة التي نشأ فيها بحيث بات يؤثر على تحديد هويته وشخصيته. لقد نجحت الثورة التكنولوجية من حيث الاتصالات والإعلام الحر المفتوح إلى تقليص الفجوة بين المجتمعات بشكل كبير، وعن طريقها تكونت لهم هوية اجتماعية مختلفة ممكا كانت عليه. حيث من الممكن ان يفقد الإنسان هويته وشخصيته بمجرد تفاعله مع إحدى هذه البيئات الاجتماعية، وسيبقى الفرد بمفرده في هذه البيئة الجديدة من دون هويته أو شخصيته أو ثقافته الأصلية، مثلما ذكر مسبقاً كوضع المهاجر من بلد الى آخر مخالف عن طبعه تماماً وبعيد عن هوية مجتمعه الأول^(٩).

(الإيزيديون في العراق بين "القرى النموذجية" والهروب)^(١٠). وايضاً كتاب من هم الإيزيديون وماهو المعتقد الإيزيدي؟ وايضاً بحث مشترك للاكاديميين شفيق تاكاي و سرهاد أور تاج في (٢٠١٦): وهو عبارة عن بحث شامل واسئلة ميدانية مكثفة عن المجتمع الإيزيدي^(١١).

انواع الهويات

تطرق البحث في المقام الأول الى دراسة الاحداث التاريخية وتحليلها لتحسين واقع الأمم، وكذلك تعزيز الهويات بصورة عامة ومن أبرزها الهوية الوطنية. ففهم التاريخ يأتي من خلال قراءة الأحداث التاريخية بمنهجية علمية بكل حيادية، دراسة اكااديمية التي لا تختصر على الكلام الشفوي أو السردي بل الاعتماد على المصادر العلمية الموثوقة و الرصينة التي تخدم هذا الموضوع.

١ - الهوية الفردية

عندما يتعلق الأمر بالحديث عن الهوية بشكل عام، فإنه يمكن أن يأخذ هذا التفسير أشكالاً ونماذج مختلفة، منها الهوية بوصفها بيان حقيقة الشيء الذي تميزه عن غيره، حيث يشار إليها تحت عنوان هوية الذات، التي هي وحدة المشاعر الداخلية المتمثلة في التصورات الاستمرارية والتمايز والثبات للفرد. ومن المعروف ان الهوية هي وحدة العناصر المادية والنفسية المتكاملة التي تميز الإنسان وتشعر

هذا الجانب يحاول التوصل إلى توافق بين الطرفين وإندماج الفرد في التكيف مع واقعه الجديد، بحيث يحاول تغيير سلوكه حتى يتمكن من العيش في بيئته الجديدة وهذا ما يسمى بالهوية الواقعية، لذا يمكن القول أن للهوية تعريفات ومعاني مختلفة، بحيث يمكن النظر إلى كل شيء بشكل مختلف من حيث هويته الخاصة، حسب الطريقة والزمان والمكان، ولذلك لا بد من توضيح المصطلح العام للهوية، حيث ينبغي إدراج بعض الآراء والأفكار المهمة حولها ومناقشتها.

في كتابه «مسارات إلى الهوية»، يتبنى المحلل النفسي الألماني إريك إريكسون (١٩٠٢-١٩٩٤) المفاهيم العامة للنظرية الفرويدية، وهنا هو لا يريد عرضها فحسب، بل التوسع فيها أيضاً، توضح هذه النظرية أن على كل شخص أن يتعامل مع الصراع في كل مرحلة من مراحل حياته، تنشأ هذه الصراعات في مرحلة الطفولة وتمتد طوال الحياة، تتمثل مهمة إريكسون في إظهار مراحل الصراع في مراحل الطفولة المختلفة، والتي من خلالها يتم تطوير الهوية الشخصية الجديدة، ويجب عرض التقدم الإنساني هنا من وجهة نظر الصراعات الداخلية والخارجية التي يجب أن تتحملها الشخصية السليمة، والتي تنشأ مراراً وتكراراً مع شعور قوي بالوحدة الداخلية وزيادة في الحكم والقدرة على "فعل الشيء بشكل جيد" وفقاً لمعايير البيئة التي تعدّ مهمة لذلك الشخص. حيث ينظر إريكسون إلى

قدم المؤلف كارمل كاميليري مفهوماً واضحاً لشرح وتسمية الهوية، بوصفها مفهوم واسع الانتشار ومعقد يتجاوز جميع التخصصات والنظريات ويحمل بين طياته تفسيرات عديدة، حيث تعدّ نظرية استراتيجيات الهوية عاملاً مهماً في فهم وتحليل مشاكل التكيف لاسيما للمهاجرين وأطفالهم في بلدان الأم أو بلدانهم المضيفة. تعدّ هوية الفرد بمثابة نظام متكامل من المعطيات والمعاني الجسدية والنفسية والأخلاقية والاجتماعية له، والتي تحتوي على خاصية إحساسه بثبات هويته الخاصة، بحسب كرمل، للهوية ثلاثة جوانب مختلفة، ولكل جانب خصائصه ووظائفه المحددة^(١٠).

أولاً: الجانب الأنطولوجي يرضي الانتماء الأخلاقي، تؤدي الهوية دوراً واضحاً في عملية التكوين الذاتي والإنتاجي لأصحابها، تؤكد بيان جوهرها وخصائصها الأساسية وتعطيها معنى وفقاً للثقافة المكتسبة للفرد والجماعة الذي نشأ معه وهو ما يسمى بالهوية الوجودية.

ثانياً: الجانب القيمي يشبع الحاجة إلى تقدير الذات، لأن الإنسان في طور الحفاظ على الحاجة الإيجابية وإلى تقدير الذات والمجتمع الذي ينتمي إليه، ويمكن أن يطلق على تلك الهوية المثالية أو الافتراضية، ولهذه الهوية علاقة مباشرة بالبيئة التي يعيش فيها الفرد.

ثالثاً: الجانب العملي للهوية الذي تؤدي دور الوظيفة التكاملية في بيئة جديدة مليئة بالتناقضات وعدم التوافق والانسجام بين مكوناتها، مما يمثل تهديداً لوحدة الهوية. ولكن

والاجتماعية الثابتة، حسب طبيعة ذلك المجتمع ومدى تقبله الافكار والرؤى الجديدة^(١٢). أن قوة الهوية الوطنية وضعفها تعتمد على كيفية تعامل مؤسسات الدولة مع مواطنيها، فإذا تعاملت معهم على أساس الجنسية أو الانتماء الحقيقي ستكون الهوية الوطنية قوية وفعالة، وعلى العكس من ذلك، إذا تمّ التعامل على أساس الانتماء القبلي أو المناطقي أو الانتماءات العرقية، الدينية و الطائفية أو غيرها، في هذه الحالة سوف تكون الهوية الوطنية هشة وتصبح عرضة للتفكك والانهار، لاسيما في حال تعرض أفرادها لصدمة أو موقف ما، ستدفعهم بتخلي تلك الجماعة عنها وتوجه اصحابها نحو هويتهم الأساسية الخاصة، بحثاً عن الأمان وفقدان الثقة بحكومتهم من دون الاعتماد عليها في أزماتهم، لذلك يمكن القول بان الطريقة السليمة في تعامل مؤسسات الدولة مع أفرادها هي تحدد مدى تمسك أو قرب مواطنيها لها، وربما احيانا يذكر بان قد تكون تلك الحكومة أو الدولة حديثة التكوين، قد تحتاج الى وقت أكثر للعمل وفقاً لفهمها للسياق العام لإيجاد آلية سليمة للتعامل مع أفرادها، ولكن لاعلاقة حدثتها بمسألة قوة الهوية أو ضعفها. وبشكل عام، أن جميع الهويات مصنوعة وأن جميع الدول بمفهومها الحالي لها أصل حديث اي تشكلت حديثاً، مؤكداً أن الهوية ترتبط بشكل أساسي بالطريقة التي تتعامل بها الدولة مع مواطنيها بدرجة معينة من المساواة والأهمية والرعاية لاحتواء أفرادها ومنحهم الثقة التامة

مشكلة تطور الهوية من منظور جبني، إنه يذكرنا بالمبدأ اللاجبني الذي ينص على أن كل شيء ينمو له خطة أساسية تمرّ فيها الأجزاء الفردية بدورات معينة حتى تصبح في النهاية له دورة ووظيفة كاملة^(١٣).

يمكن القول بان الهوية هي مستوى الوعي الذاتي والاستقلال الذي يحققه الفرد ويميز نفسه عن الآخرين، مثلما الشعور بالتكامل الداخلي والاستمرارية في العطاء عبر الزمن، والتمسك بالمثل والقيم السائدة في ثقافته، وأن الفرد وفقاً لمعطيته ينتسب ويمكن اندماجه لفئات ومجتمعات عديدة، حيث يلاحظ في المجتمعات الحديثة والأكثر تعقيداً، أن انتماءات الأفراد تتنوع بطرق يمكن أن تبعدهم عن المجموعة العضوية التي يجدون أنفسهم فيها، كالعائلة، أو القبيلة، أو مكان ولادته، وفي الوقت نفسه، فإنه قد يكون لدى الفرد صراعات داخلية ناشئة عن التناقض بين هذه الجماعات، مثل صراع الشخص بين انتمائه إلى عشيرته أو مجموعته، مقابل انتمائه إلى وطنه^(١٤).

٢- الهوية الوطنية

الهوية الوطنية هي العامل الحقيقي في الوجود التاريخي والجغرافي للبلد، كما أنها تشكل الخصوصية الفكرية والثقافية للمجتمع، بل ينظر إليها بخصائصها الأساسية والثابتة وتبين مدى تطورها الثقافي والسلوكي، بما معناه الى اي مدى يستطيع اصحابها تحقيق احتياجاتهم وأهدافهم بما يتوافق مع قيمهم ومبادئهم الأخلاقية

جمود العقل والاستسلام الى أوامر القبيلة ذاتها اي تجريدهم من اتخاذ الكثير من القرارات التي ينبغي ان يقرها الانسان وحده لانه ملك لنفسه وليس لغيره، لذلك يجب الانسلاخ من تلك الهوية المتسلطة العقيمة والتوجه نحو الهوية الفردية كما ذكر سابقاً أو التفكير بمفرده اي البحث عن هويته الخاصة "من أنا" للتعرف عن ماهيته وإثبات وجوده كإنسان^(١٥).

٤- الهوية الهجينة

كان لخلق هويات مختلطة أو هجينة ضمن فئات الشعب العراقي، أثناء وبعد سقوط النظام السابق وسياساته الديكتاتورية سببها الهجرة والاختلاط مع مجتمعات أخرى مغايرة لطبعتها وهويتها، فشكلت لها هوية هجينة مختلفة عن جذورها الراقدينية الأصلية. الهوية الهجينة تعني وجود الشيء بأوجه مختلفة، اي أن الشخص يرى نفسه جزءاً من ثقافتين أو أكثر في الوقت نفسه، هذا موجه بخاصة نحو الأشخاص الذين لديهم خلفية مهاجرة ويجمعون ذلك مع الهوية الوطنية الحديثة، أي المواطنين الذين قاموا بتطبيع أنفسهم كجزء من ثقافة الحياة في بلدان المهاجرة. كما هو معروف أن الهجين هو مزيج من شيئين، مثل تواجد ثقافتين مختلفتين في شخصية واحدة في وقت واحد، وعلى أساسه تتشكل الهوية الهجينة للمهاجرين، حيث تم في القرن التاسع عشر، استخدام مصطلح "الهويات الهجينة" لإنشاء ترسيم سلبي^(١٦).

بأمان وجودة وضمان عيشه، تحديداً في العراق يعتقد بان الهوية الوطنية هي الوحيدة القادرة على جمع العراقيين تحت مظلة واحدة، حسب عزمي بشارة^(١٤).

ما تقدم من التفسير، يمكن القول بان مفهوم الهوية هي عملية انتقال من الحالة العامة إلى الحالة الخاصة والتحويل من الوضع الشامل إلى الوضع المحدود ضمن اطار خاص بها، التي دائما تبحث عن التمايز والتباين مع الآخر.

٣- الهوية الجماعية

عند التعمق في التاريخ يتضح بشكل واضح بان الحياة البدائية أثرت على البشر للإجبارهم العيش على شكل اقوام ومجاميع من أجل مواجهة تحديات الطبيعة من جهة، حيث شكلت تلك المجاميع هوية خاصة لهم تحت مسميات القبائل أو العشائر وكذلك حاولت للعمل معاً لاسيما بعد اكتشاف الزراعة والري بالتحول الى مجتمع منتج من جهة أخرى، بعد ان كان سابقاً منشغلاً بمفرده ولنفسه في صيد الحيوانات، ومن هنا بدأ الانسان يكوّن لديه شعور الانتماء الى جماعته وينسب إليها بل تمجيدها. حيث لايزال هناك رغبة كثيرة من الناس والمشاهير، منهم يقدمون أنفسهم الى العشيرة أو القبيلة التي يعيشون فيها، وهذا يمكن تصنيفهم ضمن الهوية الجماعية اي احتوت شخصيتهم واتخاذ قراراتهم وتصرفاتهم ضمن المجموعة ذاتها. وهناك من يتهم بخضوع تلك المجموعة الى الفكر الجمعي أو الهوية الجماعية هو ليس الا

مسألة تعريف الهوية سوءا كانت جماعية أو شخصية و حصرها في جغرافية معينة، وهو السؤال الذي ظل حاضرا طوال وجود الفكر السياسي التقليدي بشكل عام، ام هناك عوامل ومتغيرات حصلت فيما بعد خارج ذلك الإطار بتعريف وتحديد الهوية، متمثلة في الدول التي تروج لها الشعارات الوطنية، بوصفها الوطن هو المكان المنحصر فيه للتعامل مع افراده وتحديد تصرفهم والتعامل معهم على وفق سياسة القائمين عليه حصراً، أو هناك عامل حديث عابر الزمان والمكان للتأثير على فسح مجال اكبر لتحديد الهويات اينما كانت. حيث أصبح هناك مجالاً كونياً مفتوحاً لتفاعلات أبعد من نطاقه المحدود، ويمكن الدخول فيه أفرادا غير حاضرين في المكان ذاته، بل عبر وسائل وتقنيات علمية وإعلامية بات من السهل التحكم في العقول والافكار بشكل عام^(١٨). وهو خير دليل على أن العلاقة بين العولمة والحدود السياسية محدودة للغاية، ما دامت الأخيرة تعتمد بشكل خاص علي الصفات والخصوصية المحدودة، في حين تسعى العولمة إلي العبور من حدود هذه الخصوصية والانتقال إلي العمومية المنفرطة. بلاشك تثبيت الحدود هو تعبير عن السيادة ومن أولويات سياسة الدولة، ومن أهم مكوناتها وأسسها، حيث تجسد السيادة لإثبات الوجود على المكان المعني، سواء أكان ملكاً خاصاً أم ملكاً جماعياً، أم بني عليه دولة مستقلة تتمسك بحق سيادتها الكاملة ضمن حدوده

منذ بداية دراسات ما بعد الاستعمار في وقت مبكر من عام ١٩٤٧، تم استخدام مصطلح الهجين أيضاً بشكل متزايد في سياق ثقافي في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ويصف نطاقاً واسعاً يتعامل مع المفوضات حول الانتماء الثقافي، غالباً ما يستخدم هذا المصطلح كتهديد للإشارة إلى الولاءات المنقسمة المتصورة أو خطر فقدان الثقافة. حقيقة إن لعبة الهوية الهجينة هي معقدة تتعارض مع الخطاب الأصولي من خلال الاستفادة من ثقافات متعددة. وهذا يعني التقليل من شأن أصحاب فكرة ما يسمى بالهوية الثابتة التي يفرض أصحابها قيمهم الحضارية على الآخرين أو يتعايشون معهم، بل ينظرون إليهم نظرة دونية ويتحدثون عن القيم الاجتماعية والاخلاقية. وهذا يفهم بانهم يفتحون إمكانية تجاوز جوهر الهوية المبني على التفاعل المستمر إلى آفاق ثقافية واسعة^(١٨).

٥- العولمة و الهوية

تم التطرق سابقا بإيجاز عن اهم مميزات الهوية الفردية وتأثيرها في بناء الدولة المدنية من حيث تعاملها مع تلك الهوية بحيادية ومساواة. وهنا يستوجب التطرق الى العولمة ومدى تأثيرها لأيجاد مفهوم شامل للهوية الوطنية بشكل عام ومدى استطاعتها وقبولها لتحديد هوية المجتمع. والسؤال الذي يمكن طرحه بكل وضوح، ما مدى العلاقة بين العولمة والهوية؟ فهل يمكن دراسة

هذا التوجه المفعم بالحرية الفكرية المفرطة ، وان كانت نسبية مقارنة بين مجتمع وآخر. وان عدم القيام بحركة تنويرية متوازنة ومتطابقة بين ثوابت المجتمع ومعطيات العولمة سوف يستمر الصراع من دون إيجاد اية حلول ناجعة وإلجئه يصعب مواكبة عجلة التطور. ومن الجدير بالذكر أن الصراع بين الهوية والعولمة هو مظهر من مظاهر صراع عصرنا، وهو صراع يعيشه العالم ككل، وكذلك كل دولة "متقدمة" على حدة، بغض النظر عما إذا كانت الدولة متطورة أو متخلفة. هناك جوانب عديدة للخلاف بين العولمة والهوية، منها التطبيقات العلمية الفعالة في مجال الإعلام، لاسيما يتم نقلها بشكل سريع الى داخل جسد المجتمع عبر القنوات الفضائية أو الإنترنت، ونتيجة لذلك بدأت دائرة الاحتكارات في مجال المعرفة تضيق أو تختزل^(٢٠). والسؤال الصريح الذي يبحث عن إجابة وافية وجريئة، هل نحن في صراع مع التطورات التي تصاحب التحول إلى «العولمة»، و هل هناك بديل ثابت يعوض عنها؟^(٢١)، على سبيل المثال وليس الحصر الذي يمكن إدارة العولمة، والخروج بأقل التضحيات منه هو إصلاح الأوضاع الداخلية ضمن المجال السياسي، حيث بات واضحاً إن الظروف الداخلية في العديد من دول العالم الثالث بما فيها الدول العربية - لا تمكنها من التعامل بفعالية مع تحديات عصر العولمة، وهنا ينبغي ضرورة البدء بعملية الإصلاح الداخلي، حيث تعدّ

المعترف بها دولياً، ولكن هل تنجح هذه الفكرة في كل عصر أو كل زمان؟ ام على القائمين عليها التأقلم مع معطيات العصر والنظر الى المستقبل والتعامل معه بشكل سليم.

أن العولمة ونظامها الجديد بالرغم من ايجابياتها تهدف بكل وضوح إلى إلغاء أو إضعاف السيادة من قبل الأنظمة والحكومات على مكان أو مجتمع ما، اي هي هوية عابرة كل الحدود الجغرافية باستخدام وسائلها وآلياتها المعروفة، وتحاول الى كسر وتهديم كافة الحواجز الثقافية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية بين الأمم، بل تسعى الى غزو الخصوصيات والتطفل على ثقافة وحضارة الشعوب لاسيما الثقافات القديمة اينما كانوا، مثلما تحاول فرض ثقافة أخرى بديلة "متحضرة"، من شأنها أن تضعف الانتماء الوطني والقومي لدى الناس، وتساهم في تفكيك عناصر ومكونات الهوية الوطنية التقليدية، فيصبح احياناً ثمة شعوباً ضائعة بلا هوية لا يمكن التفريق عن غيرها من الأمم والشعوب الأخرى، لأنها تعدّ شعوباً ضائعة بين ماضيها التقليدي وحاضرها الذي احياناً لا يستوعب الفكر المتحضر الجديد. اذن العولمة تعمل جاهداً إلى تأسيس نظام يعمل على أفرغ الهوية الجماعية وتجريدها من محتواها التقليدي، ويدفع للتفتيت والتشتيت ليربط الناس بعالم حر من دون وطن أو أمة موحدة^(٢٢). في حال تم إهمال فكرتها اي يقصد هنا العولمة أو عدم مراعاة ما يحصل للمجتمع بفعالها، والتخطيط لها بل التعامل مع

خاصة بين الدول المتقدمة والمتخلفة^(٢٤)، حيث تتمتع بقوة تساعد السيطرة والهيمنة على الآخر، مما يؤدي إلى وجود ارتباك داخل هوية هذه المجتمعات الضعيفة والتأثير على بعضها يمكن أن يكون سلبياً على القيم الاجتماعية. فلا بد من التعاطي مع العولمة بفكر مثمر بتسليح المجتمع ضد جميع الافكار التي تمحو الهوية وتحاول بناء هوية لا تمت بصلة الى اصولها التاريخية.

الصراع بين الهويات

أن الصراع والصدام بين الهويات على حساب المواطنة من جهة، وتهميش الآخر بسبب الغالبية العددية، سياسية كانت أم عقائدية من دون حسابان المستوى الفكري، والعطاء بتميز الفرد ذو الخلفية الجموعية، أي له مجموعة بشرية كقبيلة تسانده ولأجله يسلط رأيه عن الآخر الأقل منه، سواء أكانت الاقلية هم جماعة صغيرة أو افراداً أو قوة مغايرة من جهة اخرى، هذا التباين يخلق جواً ملتهباً من الخلافات والصراعات داخل الوطن الواحد، وتسلب الهوية الجماعية على كافة الأمور وإهمال الآخرين من شأنه القيام بافتعال الصراعات والأزمات. وثمة أمثلة تؤكد الطرح ذاته، مثلاً الصراع التاريخي العميق بين الأتراك والأكراد، على الرغم من وحدتهم أو تواجد غالبيتهم ضمن الهوية الدينية الواحدة، فإن الصراع الجغرافي هو الذي يفاقم

الإصلاحات السياسية المبنية على الإنجاز التدريجي والتراكمي للتحوّل الديمقراطي الحقيقي وتحقيق العدالة الاجتماعية ومكافحة ظاهرة الفساد السياسي والإداري، وعدم تدخل الدين خارج نطاق مجاله، كما فعلتها المجتمعات الأوروبية المتقدمة، البوابة الحقيقية لبناء دولة المؤسسات وتحقيق سيادة القانون وترشيده سياسة الاقتصاد و صنع القرارات بدراية اكثر، حينه يمكن الحديث هنا عن إمكانية وجود الهوية الوطنية الحقيقية^(٢٥). يقول الكاتب والناقد المصري محمود أمين العالم: (إن أخطر ما تتعرض له هويتنا هو الركود والامتصاص، وإعادة إنتاج رؤية الماضي وفرضاها على حاضرنا، وإن أخطر ما تواجهه هويتنا هو عزلتها عن عصرها باسم الأصالة، وأخطر ما تواجهه هويتنا هو اضمحلالها وخسارة ذاتها الواعية وفقدان قيمتها لإسباب سياسية، اقتصادية وثقافية، لا يمكن اصلاحها لظروفنا واحتياجاتنا)^(٢٦).

اخيراً يمكن القول بان العلاقة بين الهوية والعولمة معقدة وصعبة للغاية، هي موضوع المناقشات الحالية، يدور هذا النقاش حول إمكانية أن تؤدي العولمة إلى تدمير الهوية الوطنية وتهميش الثقافات التي تساهم في بناء تلك الهوية، فهي تفرض هويات جديدة وتخلق ثقافة إنسانية واحدة. وفي هذا السياق، توصف العولمة بأنها "نظام متعدد الأقطاب يسعى إلى التهام الأشياء والأشخاص لتقدمهم كسلع. ولذلك فإن العولمة تساهم في تفتيت الهويات،

اذن لماذا ضاع حقيقة هويتهم في وطنهم، بحيث تمّ و يتم ملاحظتهم و محاولة أبادتهم بين فترة وأخرى تحت مسميات وحجج واهية ومختلفة، بل هناك سؤال آخر وجريء يطرح نفسه، هل فعلاً الأيزيديون كمكون عراقي قديم يشكلون خطراً اكيدا على هوية المجتمعات التي يعيشون معهم، ام هناك تفسير خاطئ عن ماهيتهم ومعرفة حقيقتهم التاريخية، واخيرا يمكن القول ماهو دور الحكومات في كل ذلك؟

الإيزيدية كهوية عقائدية أو دينية تعدّ من إحدى المعتقدات الزاكروسية القديمة اي التي سكنت اسلافهم فس محاذات جبال زاكروس وطوروس، حيث ظهرت قبل أكثر من ثلاثة آلاف سنة، قبل الميلاد اي في عهد السومريين في بلاد ما بين النهرين أو ما قبلها، استنادا للاكتشافات الحديثة في مدينة رحا التركية باكتشاف تل اثري فيه الالهة والرموز القديمة التي تمارسها الشعوب القديمة كما هو عند الإيزيدية حالياً^(٢٦)، منها تمثال طاووس على شكل طير نفسه الموجود عن الإيزيدية بمثابة رمز لالهة الشمس، حيث انتقلت أو تحولت هذه العقيدة في فكرتها الالهوية من عبادة الطبيعية أي الاعتقاد بتعددية الالهة، أي لكل ظاهرة طبيعية كالشمس والقمر والمطر وغير ذلك اله يتحكم به، إلى التوحيد أو الاعتقاد بخالق أو اله واحد الذي يعدّ مصدر أو خالق لجميع تلك الالهة. ان التدرج التاريخي لاسم "إيزيدي، أي الذي خلقني" ثم أصبحت "إيزيدية" و"اليزدانية".

ويحجب كل شيء آخر. كما اتفقت قبائل الهوتو والتوتسي في رواندا على الهوية المسيحية الواحدة، إلا أن اختلاف الانتماءات القبلية أدى إلى الكثير من العدا وكثير من سفك الدماء فيما بينهم، وان يعود ذلك الى الماضي المرير ولكن تذكيره هو عدم تكرار تلك الماسي مرة اخرى. لذا يمكن القول ان أصل هذا الصراع هو إهمال الذات بل قتل مكانة الفرد الحقيقية وماهيته، بل نابعة من التبعية الفكرية و التحيز المتفشي في مجتمعاتنا ضد من يعلم أو يجتهد تحت حجة الهوية المخالفة لهم ولافكارهم لذا يسعون الى تهميشه^(٢٥).

لذا يمكن القول بان الاستفادة من تلك الحقب التاريخية المظلمة والماسي والتفكير جليا بما يخدم مصلحة البلد من أجل التلاحم بين اطياف الشعب هو الحل الوحيد في بناء الثقة وبناء هوية وطنية متينة.

الهوية الإيزيدية التاريخية

إن البحث عن ماهية الجذور التاريخية للهوية الإيزيدية موضوع معقد بعض الشيء ويحمل كثير من الاسئلة في مضمونه، منها هل حقاً الإيزيدية كمعتقد أو شعب يرجع تاريخهم الى نشوء الحضارات والعقائد القديمة كما هو عند السومريين وبعدهم من البابليين؟ بوصف تلك الحضارات نابعة من جغرافية هذا الوطن والإرث التاريخي له، ان كان الجواب هو ذلك،

التي تحي المناسبات والأعياد الدينية القديمة التي كانت تمارس في عهد السومريين وبعدهم من الاقوام الأخرى، حيث عيد رأس السنة اي سرسال هو نفسه كانت يسمى سابقا بعيد اكيثو السومري، وعند البابليين عيد زاكموك اي عيد خليفة الطبيعة^(٣٠).

إن البحث عن حقيقة الهوية الإيزيدية وماهيتها يتعلق عن مدى التعمق في دراسة ميثولوجيتها بشكل اساس مقارنة مع دراسة الميثولوجيا السومرية والبابلية و الميثرائية. بلاشك الجغرافية والطقوس العفاندية المشتركة بينهما هو دليل واضح بوجود مشتركات وجذور تأريخية بينهما، حيث لاتزال تلك الطقوس القديمة يمارسها ابناء المجتمع الإيزيدي، ومن خلال تلك المشتركات يمكن للقارئ التعرف على هويتهم التأريخية. يمكن للباحث ايجاد المفارقة في التحليل عن مدى التفيق والغبن الذي لحق باصحاب هذا المعتقد، منها ايمانهم بوجود إله للشر بمثابة ند للخالق تحت اسم (ابليس أو الشيطان)، حتى بات للإيزيدي الذي لم يسمع في تاريخه ومن اسلافه معنى واسم هذه المصطلحات ان يكره أو يغضب عند سماعه، بل يدخله في مشاحنات ونزاع داخلي مع الآخرين، واحيانا مواجهات لاغنى له فيها، بحجة تكفير الآخر عند تلفظها هو خلق شريك مع خالقه أو اهانة إلهه طأوس ملك اي إله الشمس أو نور الله، وهو يعدّ اسماً

كما هو الحال في الامبراطورية الساسانية ٢٢٦-٦٥١م، وفي اللغة السومرية ايزيدي اي الانسان الصالح والنظيف والروح الخيرة الذي يسير على الطريق الصحيح^(٣٧). حيث كانت الديانة اليزدانية إحدى الديانات الرسمية في ذلك الوقت، إلى جانب الديانات الكردية القديمة الأخرى كالديانة الميثرائية، اليارسانية والزرادشتية^(٣٨). حيث يضيف الى ذلك الباحث خليل جندي، ان الديانة الأيزيدية هي احدى المعتقدات البدائية المتوغلة في التاريخ القديم، هي من بقايا ديانات الخصب الأولى، ترجع جذورها التأريخية الى المعتقدات الهندو-ايرانية النابعة في ميسوبوتاميا وادي الرافدين، مثلما يوصف بان هذا المعتقد يعتمد في تعاليمه على الصدق وصفاء النية من الاعماق، وهي ديانة أو معتقد مسالم غير تبشيري تؤمن بوحدانية الخالق^(٣٩)، حيث يستنتج من ذلك هو بعدم تدخل أصحابها في شؤون الاديان الأخرى ولم تكره في تعاليمها اية فكرة عقائدية اخرى مثلما تمنع الاساءة الى اي رسول أو نبي من غير معتقدها، بل هناك نصوص دينية لهم تمجد تلك الانبياء كون طريقهم هو التمجد بالخالق ووحدانيته، حيث منعت اصحابها ومن كلا الجنسين بالزواج خارج مجتمعهم، وذلك للحفاظ على خصوصيتهم من جهة وعدم الدخول في المشاكل مع المعتقدات الأخرى من جهة اخرى. حيث يرجع بدايات ظهور المعتقد الإيزيدي بين الرعاة والمزارعين في جبال زاكروس، ولايزال الإيزيديون هم فقط من الأقوام الوحيدة

المؤرخون تحديد تاريخ ظهور الأيزيدية، فجنورها متوغلة في القدم ترجع إلى بداية العهد السومري، وربما مع بداية إكتشاف الزراعة، هذا يعني أن الأيزيدية مرت ككل شعوب العالم بمراحل بدائية من الفكر الفلسفي الديني وتطورت تدريجياً مع النضوج الفكري مثل غيرهم، إلى أن وصلت فلسفتهم العقائدية إلى فكرة التوحيد والإيمان بالإله الواحد، خالق الأرض والسماء (خودا) (٣٣).

أما المرحلة الثالثة وهي مرحلة التصوف وهي فترة بروز الشيخ ادي (١٠٧٥م - ١١٦٢م) المصلح والمجدد للمعتقد الأيزيدي، وإدخاله بعض أفكار الصوفية إلى هذه العقيدة تحت ذريعة التطبيع مع الواقع حينه والانهاء من الإبادة التي لحقت بهم بسبب التهم الباطلة التي شوهدت فكرتهم العقائدية وبسبب فكره الصوفي اي التواصل مباشرة بأفكاره مع الخالق دون وسيط (٣٤).

يقول الأكاديمي الأيزيدي شفيق تاكاي في كتابه المشترك مع أورتاج (الأيزيدية والأيزيديايتي) باللغة الألمانية، لمن يريد ان يفهم عن حقيقة هذا المعتقد وجوهره بطريقته المميزة عليه ان يفهم خصوصيتهم بشكل صحيح، والتعمق بشكل كامل في ماهيتهم ودراسة جذورهم التاريخية، ويضيف بانه ينبغي أن يكون لديه ثلاثة تصورات وفرضيات واضحة منها:

واحداً من ٣٠٠٣ من اسماء الخالق حسب فلسفة عقيدتهم، ويعدّ هو نفسه حسب ميثولوجيا العقائدية السومرية الغله أوتو هو إله الشمس واسم من اسماء الخالق وهو باللغة الكورمانجية خودا (٣١). واسم تأووس أو طأووس ملك ليس الانابع من تموز الاله البابلي المشهور لدى البابليين، أي تأو يعني الشمس عنهاالسومريين كما ذكرناه، وبالكورديية ايضا تأتي المعنى نفسه (تاف) اي الشمس، حيث عبادة تموز- تأوز أو تأوس كانت منتشرة في الكثير من المناطق في وادي دجلة وسنجار الى منطقة نصيبين التركية حالياً، مثلما كانت منتشرة بين المسيحيين في عهد الدولة الساسانية وفي آسيا الصغرى. حيث هناك بعض الطوائف كالدروز تعتقد بان طير الطأووس هو المرسل المخادع لأدم وحواء مثلما، فعل من قبلهم النبي زرادشت بمعتقدي الطأووس ملك بعبادة الديو (ديوه - په سني) اي عبادة إله الشر (٣٢).

حسب الباحثين في الشأن الأيزيدي ان المعتقد الأيزيدي مرّ بثلاث مراحل أو حقب تاريخية من حيث كيفية الايمان بوجود خالق، المرحلة الأولى تمثلت عبادة الطبيعة وظواهرها كما ذكر سابقاً. والمرحلة الثانية عند ظهور الأديان الابراهيمية، حيث تأقلمت الأيزيدية كفكرة عقائدية بالتقرب من تلك الأفكار وتلبس ثوبها بعض الشيء تماشياً مع تلك الظروف حينئذ (لقاء سابق مع الباحث المرحوم بير خدر سليمان في ١٩ ابريل ٢٠١٩ في شيخان). يقول الكاتب ميرزا دناي " لم يستطع

الأثنية والعقائدية لهم خطوة اساسية أولية لتقديم الهوية الخاصة لهم، لان كافة عناصر ومقومات الهوية مترابطة مع بعضها، بحيث من الصعب انفصال بعضها عن الآخر، ثمة وجود عوامل خارجية عن طبيعة المجتمع الإيزيدي أي اطراف سياسية اخرى تريد انجرارهم نحوهم، وبمعنى أدق صبغ الهوية الايزيدية حسب رغباتهم، هذا بعيدا عن حقيقة هوية هذا المجتمع العريق في تأريخ كينونته. حيث يمكن للتراث و بكافة اشكاله ان يلعب دورا مهماً في تحديد هوية المجتمع، سواء أكان تراثاً قومياً، شخصياً أو شعبياً، اي لايقصد به كثرات الماضي وماتعاقب من احداث ماضية، بل الحاضر وجميع تحولاته، والمستقبل بكل تأملاته واحتمالاته هو جزء من تاريخ المجتمع الايزيدي الذي يستطيع تحديد هويته الكاملة، لذلك يمكن للايزيدية ان يقدموا هويتهم الخاصة بهم وحدهم واثباتهم للاحر بانهم شعب قائم لوحده، له تأريخه وعاداته وتقاليده، وله جغرافيته الخاصة، وهو يكفي ليكون له هويته المستقلة عن غيره^(٣٧).

في موضوع عن أزمة أو قلق الهوية الإيزيدية حسب الكاتب هوشنك بروكا في موضوع نشر له بهذا الخصوص ، يرجع ذلك الى سبب وجود قلق سياسي كبير في العراق ادى الى ضياع تلك الهوية وفقدان اصالتها، التي اصبحت ضحية بين (كماشتي) حكومة

١. تتمثل الإيزيدية كعقيدة مستقلة شكلياً ومادياً وليست نتاجاً توفيقياً أو كمجموعة تابعة للأديان والمعتقدات الأخرى، أي يرفض الأفكار التي تقول بانها فرقة صوفية نشأها خليفة أو امام سمي ما شئت، بل نابعة من الطبيعة.

٢. تتشكل التعاليم الإيزيدية من خلال تقليد ديني وتاريخي بشكل شفهي يمتد لقرون حافظت على خصوصيتها وتعاليم عقيدتها التي تروج للمحبة والسلام.

٣. الجذور التاريخية للديانة الإيزيدية إلى "مجموعة" من الديانات الإيرانية القديمة التي كانت موجودة قبل ٢٠٠٠ سنة من الميلاد^(٣٥). ولا يزال يمارسون تلك الطقوس القديمة في مناسباتهم الدينية الحالية، انهم منتشرون في العديد من دول العالم حيث يزداد نفوسهم اكثر من مليون نسمة، والنسبة الكبيرة منهم هاجروا الى دول القوقاس سابقا لاسيما في القرن التاسع عشر وبعدها الى أوروبا، كذلك جاليات متنوعة منهم متواجدة في امريكا، كندا واستراليا^(٣٦). نستنتج من ذلك بان دراسة وتحليل تاريخ هذا المكون تعطينا فهم وماهية الجذور التاريخية لهم وسبب تمسكهم بهويتهم الوطنية.

الإيزيديون وأزمة الهوية

حسب قول الكاتب والأكاديمي علي سيدو عند البحث عن الهوية الإيزيدية الأصلية، ينبغي التعرف الى الحقيقة التاريخية لماهية الايزيدية كمكون ومعتقد خاص، أي اثبات الهوية

ار بيل تارة وحكومة بغداد تارة اخرى، بين اتهام اربيل لبغداد بتهميش الإيزيديين وبالعكس. إن الإيزيديون ووجودهم أمام تلك الاتهامات المضادة ليسوا أكثر من "أداة" لاختراع حجج وأزمات جديدة لتشتيتهم، وكذلك وجود حالة لا استقرار أو فقدان الثقة للشعب العراقي عامة، بشقيه الكردي والعربي بسبب تلك السياسات، والنتيجة هي ظهور المزيد من الأزمات و"إفراغ" محتواها الأساسي من اضطهاد الإيزيديين بوصفهم شعباً مهدداً بالانقراض، وهو ما يعدّ الأفظع في هذا القرن. مما لا شك فيه ان سياسة "تصفير" الإيزيديين ووجودهم في العراق وما حوله، كما حدث سابقاً مع الأقليات الدينية والعرقية الأخرى، كاليهودية سابقاً والمسيحية بعدها، هي سياسة قديمة وجديدة ذات عقيدة قومية خارجياً وعقيدة دينية داخلياً، والدليل على ذلك ماحدث للإيزيدية من إبادة تحت انظار وحماية اكثر من احدى عشر الف من عناصر البيشمركة، وانسحاب القوات العراقية المتمثلة في حكومة بغداد وجعل الشعب الايزيدي المغلوب على امره لقمة سانعة في يد اشرس قوة ارهابية في العصر الحديث " تنظيم داعش". أن العرف والقانون الدولي صريح في قوله، بان أي كارثة طبيعية أو غير طبيعية تحدث في ظل أي حكومة، وفي حالة إهمالها، هي من تتحمل عواقب والمسؤولية، ولكن من يعاقب من، والخاسر الوحيد هم الإيزيديين وحدهم الذين يعدّون انفسهم هم بقايا

ار بيل تارة وحكومة بغداد تارة اخرى، بين اتهام اربيل لبغداد بتهميش الإيزيديين وبالعكس. إن الإيزيديون ووجودهم أمام تلك الاتهامات المضادة ليسوا أكثر من "أداة" لاختراع حجج وأزمات جديدة لتشتيتهم، وكذلك وجود حالة لا استقرار أو فقدان الثقة للشعب العراقي عامة، بشقيه الكردي والعربي بسبب تلك السياسات، والنتيجة هي ظهور المزيد من الأزمات و"إفراغ" محتواها الأساسي من اضطهاد الإيزيديين بوصفهم شعباً مهدداً بالانقراض، وهو ما يعدّ الأفظع في هذا القرن. مما لا شك فيه ان سياسة "تصفير" الإيزيديين ووجودهم في العراق وما حوله، كما حدث سابقاً مع الأقليات الدينية والعرقية الأخرى، كاليهودية سابقاً والمسيحية بعدها، هي سياسة قديمة وجديدة ذات عقيدة قومية خارجياً وعقيدة دينية داخلياً، والدليل على ذلك ماحدث للإيزيدية من إبادة تحت انظار وحماية اكثر من احدى عشر الف من عناصر البيشمركة، وانسحاب القوات العراقية المتمثلة في حكومة بغداد وجعل الشعب الايزيدي المغلوب على امره لقمة سانعة في يد اشرس قوة ارهابية في العصر الحديث " تنظيم داعش". أن العرف والقانون الدولي صريح في قوله، بان أي كارثة طبيعية أو غير طبيعية تحدث في ظل أي حكومة، وفي حالة إهمالها، هي من تتحمل عواقب والمسؤولية، ولكن من يعاقب من، والخاسر الوحيد هم الإيزيديين وحدهم الذين يعدّون انفسهم هم بقايا

إن الإبادة الجماعية للإيزيديين في شنكال ٢٠١٤ لم تكن سببها فقط "داعش" كدولة إسلامية متنقلة، ولا فقط بسبب الصراع القومي بين بغداد وأربيل وحده، بل بسبب الصراعات الإقليمية المعروفة بين المحورين السني والشيعي ايضاً، حيث أدت المساحة العامة في شنكال، وبروز البؤر الإسلامية العربية والكردية السنية المحيطة بها دوراً كبيراً في تمهيد الطريق أمام داعش لتحقيق رغباته. لذا يمكن القول وبوضوح بان الفضاء العام في إقليم كردستان العراق على مدى العقود الأربعة الماضية تحول إلى فضاء ديني يعيش في الوراء أكثر من الامام، وهو فضاء غير مدني، يخدم

المشتركة بينهما، ومن أهمهم: وجود فكرة الإله نابو، صفات الآلهة و قدسية يوم الاربعاء، مثلما أيام الأسبوع الترتيبية والكواكب، رجل الدين السادن الذي يسمى كالو، مراسم وطقوس دفن الموتى والخ^(٤٠). وما يجمع الشعب العراقي بكل اطيافه هو وجودهم في وطن واحد، ولهم تاريخ طويل مشترك، وفي العصر الحديث لهم أيضا دولة واحدة ومواطنة واحدة، كل هذا يجعل منهم شعباً متميزاً رغم أنهم يختلفون فيما بينهم في الأديان واللغات في بعض الثقافات^(٤١). ومن مفارقات العراق الحديث أن ماضيه ومستقبله اصبح في محل خير كان، بل يخضعان لشكوك جاهلة، اي اصبح الماضي موضوع تأمل ساذج وسرقة معلنة من قبل القوى السياسية العرقية والطائفية، ويصبح المستقبل قد دخل في ظلام دامس لمن ليس له سلطة ويد طويلة لنهب خيرات البلد. أن واقع الهوية العراقية كهوية تاريخية وثقافية وليس كهوية قومية أو عرقية أو طائفية أو مناطقية، يجب وضع هذه النتيجة في قلب فكرة أن نجاح أي مشروع كبير هو في المقام الأول نتيجة التصور الواقعي لطبيعة وحجم المشاكل التي تواجه الدولة.

اذن تعدّ الهوية الوطنية العراقية هي هوية ثقافية وحضارية شاملة تشمل الحضارات كافة من سومر وبابل وآشور ومابعدهما والى الآن، بحيث لم نجد اصحاب تلك الحضارات يوماً ما يفرقون بين مواطنيهم على أساس الدين أو الطائفة^(٤٢).

جماعات الإسلام السياسي، حيث يوجد "أمة ايديولوجيا الدين" أكثر من "أمة كردستان" ودستور الدين والقبيلة أكثر من دستور الشعب المتمثل بالعدل، المساواة والحرية. أما حكومة بغداد التي لم تعترف بعد بالإبادة الجماعية للإيزيديين لأسباب دينية وسياسية صرفة، حيث لم تحكمها الدين بل الطائفة هي التي تحكم وتسيطر على جميع جوانب الدولة، كل شيء من البرلمان إلى الغرف المظلمة، لذلك ضاعت حقوق الكثير من الشعب العراقي لاسيما شعب ابيد عن بكرة ابيه، سببت نساته وخطف اطفاله، بل جعلوا أداة بيد الوحوش للقيام بعمليات ارهابية لقتل بني جلدتهم و اباء وطنهم تحت انظار حكومتهم ودولتهم. بلا شك بات الإيزيديين شعبا خائفا وقلقا على مستقبله في وطنه، وذلك ترجع بالأساس إلى الشعور المخيف بوجودهم، ويتأرجح بين طرفين قلقين، قلق بغداد وقلق أربيل، لذلك يمكن القول بان الإيزيديون يمرون بأصعب مراحل حياتهم المأساوية، مرحلة خوف الوجود في هويتهم الفلقة، وهي التي أوصلتهم إلى ما هم عليه حالياً، أي فقدان الثقة باية من الحكومات المذكورة^(٣٩).

يذكر الكاتب مراد سليمان علو حيث ان الإيزيديون هم ورثة حقيقيون للحضارات القديمة ومنها الحضارة السومرية والبابلية، إلى جانب آخرين من الاقوام الذين يشاركونهم في هذا التراث العريق. ولتسليط الضوء على هذا الانتماء الغني حسب قوله، يمكن الاشارة على بعض الأسس والرموز الدينية والاجتماعية

الخاتمة

أولاً: يدور هذا البحث حول الهوية التاريخية الإيزيدية المتجذرة في التاريخ لتعزيز هويتهم الوطنية، حيث ان مهمة دراسة التاريخ بشكل عام هو تحسين واقع الأمم والتمسك بالهوية الوطنية في إطار الشعور بالفخر وتعزيز الثقة بالانتماء الوطني بشكل كبير.

ثانياً: إن فهم التاريخ من خلال تذكر الماضي ليس فقط كسر، بل كسؤال يبحث عن مفتاح تحسين الحاضر والاستعداد للمستقبل، فيمكن حينئذٍ إيجاد حلول فعّالة للاختلافات الكثيرة والرغبة الفعّالة في إيجاد وتقديم الولاء الثابت للمواطنة الحقيقية.

ثالثاً: إن الصراع والصدام بين الهويات على حساب المواطنة، وضعف الحكومة وتفعيلها من جهة، وتهميش المكونات من جهة أخرى، دون مراعاة خصوصية الفرد وعطاءه، وما يميزه عن غيره بقدر ما يقدم أو يبذع، بل التفكير بعقلية الأغلبية المهيمنة، تخلق جواً ساخناً من الخلاف والصراع داخل الوطن.

رابعاً: ان المواطنة الحقيقية وشروط تغلب الهوية الوطنية على غيرها من الهويات هو ناتج عن السياسات الحكيمة للدولة، بل عدم التخبط بين السياسة والمصالح الذاتية من جهة، والالتزام بنظام ديمقراطي حقيقي، بحيث لكل فرد أو قوم الحق في ممارسة شعائره وطقوسه العقائدية دون تفرقة.

خامساً: غن البحث وتحليل الهوية الايزيدية

لمكون قديم من مكونات الشعب العراقي هو دراسة مهمة للتعرف عن واقعهم وكيفية التعامل معهم من جهة، وتعزيز الهوية الوطنية بفعل تشجيع وزيادة الولاء للوطن من جهة ثانية.

الهوامش

- ١- جندي، خليل : الدين الايزيدي (٢٠١٨): الدين الايزيدي (المعتقدات، الميثولوجيا والطبقات الدينية) تقديم الدكتور سعد سلوم. دار الرافدين.
- ٢- جندي، خليل (٢٠٢٣): البحث عن الدين الايزيدي التاريخي، بيت الكتاب السومري. بغداد.
- ٣- عثمان، موم (٢٠١٣): دراسات ومباحث في فلسفة وماهية الديانة الايزيدية، تقديم ومراجعة الدكتور عبد الفتاح البوتاني، دهوك.

٤- المصدر نفسه، ص ١٧.

- 5- Kızıllhan, Jan İlhan (2013): Wer sind die Êziden? Berlin.5
- 6- Dulz, Irena (2001): Die Yeziden im Irak, zwischen "Modelldorf" und Flucht. Hamburg 6. ايرينا دوتز: الايزيديون في العراق، بين المجمعات والهجرة.
- 7- Tagay & Ortac (2016): Wer sind die Eziden? Was ist das Ezidentum. Hamburg.7. شفيق أورتاج: من هم الايزيدية وماهي؟ الايزيدياتي؟

٨- دمشق وطفة، علي أسعد (٢٠١٠): الهويات الأصولية في زمن الاصطدام، مجلة المعرفة السورية، العدد ٥٥٧، ص ٤٥ .

٩- الجابري، محمد عبد (١٩٩٩): العولمة والهوية الثقافية. مجلة عالم الفكر والأدب، ص ١٠٠. ديسمبر، الكويت.

- 21-<https://studies.aljazeera.net/ar/issues/2015/01/201512895243715948.html#a2321>. راجع في 20.10.2024.
- ٢٢- الحاضري، خالد على (٢٠٠٥): التنمية بمفهومها الشامل وتأثيرها على الهوية المحلية بمدينة صنعاء تطبيقاً على المسكن، ص ٢١، جامعة القاهرة.
- ٢٣- الطيب، التيزيني (٢٠٠١): الواقع العربي وتحديات الألفية الثالثة، ندوة حوارات في الفكر الواقع العربي وتحديات الألفية الثالثة، تدقيق ناصف نصار، ص ٤٢-١٧ عمان.
- 24- Young, Robert (2001): Postcolonialism. An Historical Introduction, P,57f. Oxford.
- ٢٥- المصدر نفسه.
- ٢٦- مروى محمد: الهوية.. بذرة التعصب الأولى. المصدر السابق.
- ٢٧- محمد الحداد (٢٠١٩): موقع أثري بتركيا يجتاز قصة أسوأ أيام التاريخ منذ العصر الجليدي، راجع في www.aljazeera.net//:٠٦,١١,٢٠٢٤ science/٢٠١٩/٥/٢/غوبكلي-تبه-تروي- قصة-أسوأ-أيام-التاريخ
- ٢٨- جندي: الدين الايزيدي، ص ٢١.
- ٢٩- دلشاد عبدالله (٢٠١٤، ٠٨، ١٣): من هم الايزيدي ؟ <https://aawsat.com/home/article/١٥٨٥٦١> راجع في ٢٦,١٠,٢٠٢٤
٣٠. التوحيد في المعتقدات العرفانية أو الأديان الطبيعية الغنوصية القديمة، يفهم في فلسفتها بأن الخالق هو مجموعة من القوى الطبيعية الغير مرئية أو المنظورة، هنا يمكن مقارنة ذلك عند المعتقد الايزيدي، بحيث لكل ظاهرة هناك اله أو مايسمى (خودان)، على سبيل المثال
- 10- Selim, Jihan Muhammad (2000): „The Impact of Globalization on Egyptian Architectural Culture and Identity“S. 78ff. Universität of Kairo.
- 11-Erik.H. Erikson (1991): Identität und Lebenszyklus, S, 56ff.Suhrkamp, Berlin.
- ١٢- رنا محمود شاكر (٢٠١٨): الهويات الفرعية واثرها في الواقع السياسي العراقي. المجلة السياسية والدولية. <https://www.iasj.net/iasj/download/٨c٩٤٧f٥e٤ff٦٩٩٩٢> ٢٥,١٠,٢٠٢٤
- ١٣- المصدر نفسه.
- ١٤- عزمي بشارة (٢٠٢٣-٢٠١-٠٦): الهوية... والهوية العربية المحددات والإشكالات. <https://arabtf.uk/posts/١٥٥٥٥٨/١٥,١٠,٢٠٢٤>
- ١٥- الهوية-بذرة-التعصب-الأولى. راجع في www.aljazeera.net/amp/blogs/٢٥,١٠,٢٠٢٤
- ١٦- سيد أبو ضيف أحمد (٢٠٠٣): الهيمنة الأمريكية: نموذج القطب الواحد وسيناريوهات النظام الدولي الجديد، مجلة عالم الفكر، العدد (٣) ص ٢٣ الكويت.
- ١٧- محمد عابد الجابري (١٩٩٧): العولمة والهوية الثقافية، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٥، بيروت.
- ١٨- المصدر نفسه، ص ٣٨.
- ١٩- أحمد كمال أبو المجد (١٩٩٩): العولمة والهوية ودور الأديان، مجلة المسلم المعاصر، العدد (٩١)، السنة الثالثة والعشرون، ص ١٤ وبعدها.
- ٢٠- جمال نصار (٢٠١٥): الهوية الثقافية وتجديات العولمة في مركز جزيرة للدراسات

٤٢- مرادعلو (٤/١/٢٠١٤): في شوارع بابل من جديد، راجع في ٢٠٢٤، ١٠، ٢٨، <https://www.ahewar.org/debat/show.art>.
aid?asp=٤٠٨٣٩٥.

المصادر

- ١- أبو المجد، أحمد كمال، العولمة والهوية ودور الأديان، مجلة المسلم المعاصر، العدد (٩١)، السنة الثالثة والعشرون.
- ٢- الحاضري، خالد علي (٢٠٠٥): التنمية بمفهومها الشامل وتأثيرها على الهوية المحلية بمدينة صنعاء تطبيقاً على المسكن، القاهرة.
- ٣- جندي، خليل: الدين الأيزيدي (٢٠١٨): الدين الأيزيدي (المعتقدات، الميثولوجيا والطبقات الدينية) تقديم الدكتور سعد سلوم، ص ٥٧.
- ٤- جندي، خليل (٢٠٢٣): البحث عن الدين الأيزيدي التاريخي، بيت الكتاب السوري.
- ٥- الجابري، محمد عابد (١٩٩٩): العولمة والهوية الثقافية. مجلة عالم الفكر والأدب، ص ١٠٠. ديسمبر، الكويت.
- ٦- الجابري، محمد عابد (١٩٩٧): العولمة والهوية الثقافية، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٥، بيروت
- ٧- رشو، علي سيدو (٢٠٢٢): محطلات من واقع الإيزيديين، مطبعة كنوز، القاهرة.
- ٨- الطيب، التيزيني (٢٠٠١): الواقع العربي وتحديات الألفية الثالثة، ندوة حوارات في الفكر الواقع العربي وتحديات الألفية الثالثة، تدقيق ناصف نصار، عمان.
- ٩- عثمان، موم (٢٠١٣): دراسات ومباحث في فلسفة وماهية الديانة الأيزيدية، تقديم ومراجعة الدكتور عبد الفتاح البوتاني، دهوك.
- ١٠- وطفة، علي أسعد (٢٠١٠): الهويات الأصولية في ومن الاصطدام، مجلة المعرفة السورية، العدد ٥٥٧.

للمطر اله وللقم خودان وللرعي أله/ خودان وغيرها، مجموعة هذه الالهة يرأسها أله واحد أو خالق واحد وهو يزدان/ الله.

٣١- جندي، خليل (٢٠١٨): الدين الأيزيدي (المعتقدات، الميثولوجيا والطبقات الدينية) تقديم الدكتور سعد سلوم، ص ٥٧.

٣٢- المصدر نفسه، ص ٣٣-٣٤.

٣٣- المصدر نفسه، ص ٣٨.

34 - www.facebook.com/Rezgar21/photos/ - فلسفة- في الأيزيدية- /624324267673525/ راجع في 06.11.2024.

٣٥- بير خدر سليمان: [www.youtube.com/](https://www.youtube.com/watch?v=x9GfS9v0OSg&t) : ٨٥١s=watch?v=x9GfS9v0OSg&t

الأيزيديين والفلكلور الكوردي مابين الحقوق والواجبات، راجع ٢٠٢٤، ١١، ٠٦.

36- Tagay & Ortac (2016): Wer sind die Eziden? Was ist das Ezidentum. Hamburg. شفيع، أورتاج: من هم الأيزيديين وماهي الأيزيديياتي؟ ص 36-37.

37-Kızılhan, Jan İlhan (2013): Wer sind die Êziden? S, 17.37. فيزلهان، جان إيلهان (2013): من هم اليزيديين؟ ص. 17. انظر ممو عثمان، المصدر السابق ص 27.

٣٨- رشو، علي سيدو (٢٠٢٢): محطلات من واقع الإيزيديين، ص ٢٤٩ وما بعدها.

٣٩- بروكا، هوشنك (٢٠٢٤، ٠٦، ١٣): في قلق الهوية الأيزيدية. <http://zewanews.com/> في-قلق- الهوية-الإيزيدية/.

٤٠- بروكا: المصدر نفسه.

٤١- مرادعلو (٢٠٢٣، ١٠، ٢٥): في الهوية الأيزيدية، راجع في ٢٠٢٤، ١٠، ٢٧. sotkurdistan.net.

٤-٢٠٢٤, ١٠, ٢٥ مروى محمد: الهوية بذرة التعصب

الأولى، راجع: www.aljazeera.net/amp/.../blogs

٥- سيد أبو ضيف أحمد (٢٠٠٣): الهيمنة الأمريكية:

نموذج القطب الواحد وسيناريوهات النظام الدولي الجديد، مجلة عالم الفكر، العدد (٣) ص ٢٣ الكويت.

٦- بروكا، هوشنك (٢٠٢٤, ٠٦, ١٣): في قلق الهوية

الايزيدية .. //: zewanews.com/ في-قلق- الهوية-الإيزيدية/ .

٧- مراد علو (٢٠٢٣, ١٠, ٢٥): في الهوية الايزيدية،

راجع في ٢٠٢٤, ١٠, ٢٧. //: sotkurdistan.net/

٢٠٢٣/١٠/٢٥ في-الهوية-الأيزيدية- مراد- سليمان-علو/ .

٨- حميرزا دناي: التوحيد في فلسفة الايزيدية

وقصة الافتراءات حول عبادة إيليس. راجع في <https://www.facebook.com/Rezgar21/photos/>

٢١- فلسفة-الايزيدية- /٢٥٢٥٦٧٦٧٣٥٢٤٣٢٤٦٢٤٣٢٤/ .

٩- فرمانات (حملات الابادة الجماعية) التي وقعت على

الشعب الايزيدي <https://hritc.co/> ١١٠٨٦. راجع في ٢٠٢٤, ١١, ٠٦.

المصادر الاجنبية

1- Dulz, Irena (2001): Die Yeziden im Irak, zwischen "Modelldorf" und Flucht. Hamburg

2- Kızıllhan, Jan İlhan (2013): Wer sind die Êziden? Berlin.

3- Tagay & Ortac (2016): Wer sind die Eziden? Was ist das Ezidentum. Hamburg.

4- Selim, Jihan Muhammad (2000): „The Impact of Globalization on Egyptian Architectural Culture and Identity“ Kairo.

5- E.H. Erikson (1991): Identität und Lebenszyklus, S, 56ff. Berlin.

6- Young, Robert (2001): Postcolonialism. An Historical Introduction, P,57f. Oxford.

صفحات الانترنت

١- جمال نصار (٢٠١٥): الهوية الثقافية وتحديات

العولمة في مركز جزيرة للدراسات <https://studies.aljazeera.net/ar/issu>

٢٠١٥/٢٠١٥/٠١/٢٥٤٣٧١٥٩٤٨/٠١/٢٠١٥/es.html#a٢٣. راجع في ٢٠٢٤, ١٠, ٢٠.

٢- رنا محمود شاكر: الهويات الفرعية واثرها في

الواقع السياسي العراقي. المجلة السياسية والدولية/ <https://www.iasj.net/iasj/download>

٢٠٢٤/١٠/٢٥٤٣٧١٥٩٤٨/٠١/٢٠١٥/es.html#a٢٣. راجع في ٢٠٢٤, ١٠, ٢٠.

٣- في ٢٠٢٤, ١٠, ١٥ راجع: الهوية... والهوية العربية

المحددات والإشكالات .. <https://arabtf.uk/> ٥٥٥٥٨/posts

Yazidi identity: history and marginalization

Asst. Lect. Hassoun Jahwar Abdo
University of Osnabrück, Germany

Abstract

This research revolves around the identity of the Yazidi rooted in history to enhance their national identity, as the mission of studying history in general is to improve the circumstances of nations and adhere to national identity within the framework of a sense of pride and greatly enhance confidence in national belonging. Understanding history by remembering the past not only as a narrative, but as a question that searches for the keys to improve the present and preparing for the future, then effective solutions can be found for the many differences and the effective desire to find and provide steadfast loyalty to true citizenship.

The conflict and clash between identities at the expense of citizenship, the weakness of the government and its activation on the one hand, and the marginalization of minorities on the other hand, without taking into account the privacy of the individual and their circumstances, and what distinguishes them from others as much as they offer or create, but rather thinking with the mentality of the dominant majority, creates a heated atmosphere of disagreement and conflict within the homeland. Just as the research concludes that true citizenship and the conditions for the national identity to prevail over other identities is the wise policy of the state, and even not to flounder between politics and interests on the one hand, and on the other hand to commit to a true democratic system for everyone who has the right to practice his religious rituals and rites without discrimination. This area of conflict is of particular importance to modern democracies as they are in a constant struggle to balance individual rights and maintaining law and order. It is suggested that no identity should be marginalized within the Iraqi national fabric, and according to it, it can be said that Iraq is considered a country of oppressed and weak identities, and successive governments have contributed to marginalizing others, inflicting various types of torture on them, and belittling their culture, language, art, and production due to the use of excessive force. This had no meaning in terms of national containment when it comes to dominant identities that belittle others and insult their culture, as a history full of marginalization, backwardness, and displacement contributed to creating a lot of division and neglect of other multiple identities. Therefore, in our current reality, the principle of equality and true citizenship must be applied without discrimination on the basis of race or gender etc.

Keywords: Yazidism, Yazidi identity, national identity, hybrid identity, identity crisis.